RIMAK International Journal of Humanities and Social Sciences
ISSN: 2717-8293
Volume 5, Issue 6, November 2023

Received: 18/09/2023 **Accepted:** 14/10/2023 **Published:** 01/11/2023

THE SOCIAL SITUATION OF THE MAGHREB COUNTRIES IN MODERN TIMES DURING THE 18TH-19TH CENTURIES. ALGERIA AS A MODEL

KHALDI Belarbi [1]

Prof. Dr, Hassiba Ben Bouali Chlef, Algeria

BELALIA Miloud[2]

Prof. Dr, Hassiba Ben Bouali Chlef, Algeria

Abstract

During modern times, the Maghreb countries from Tripoli to the atlantic front witnessed patterns of government and close economic, social and cultural conditions, while Europe experienced a period of decisive economic and social transformations in the age of enlightenment, then the industrial revolution, and the colonial movement to dominate underdeveloped countries.

At the beginning of modern times, the Maghreb countries knew the imminent danger from the european naval powers that controlled the maritime outposts on the coast of the western basin of the Mediterranean. Taking advantage of the political and military weakness of the Maghreb countries.

The european foreign threat, especially the Spanish one, has been perched on the Maghreb coastal cities for more than three centuries, but with the emergence of the ottoman power in the western basin of the mediterranean, which began to intensify efforts to mobilize local energies in order to remove the imminent danger, it was able to ward off the spanish advance and eliminate some of its sites one after another, the last of which was the liberated cities of Oran in 1792 AD.

Research Objectives :

This research paper aims to shed light on the social situation of the Maghreb countries during modern times and the interaction of the local population with new arrivals from different countries of the world, and then highlight the extent to which the local population suffered from the pandemics that the mediterranean region was experiencing at that time, as well as the foreign invasion, all of which were factors that converged against the local population.

Key words: The Social Situation of The Maghreb Countries, Modern Times, Algeria.

http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.26.9

[1] Khaldibelarbi02@gmail.com

[2] m.belalia@univ-chlef.dz

الوضع الاجتماعي للأقطار المغاربية في العصور الحديثة خلال القرنين 18- 19. الجزائر نموذجا

خالدي بلعربي

أ.د، جامعة الشلف، الجزائر

بلعالية ميلود

أ.د، جامعة الشلف، الجزائر

الملخص

شهدت الأقطار المغاربية من طرابلس الغرب إلى الواجهة الأطلسية خلال العصور الحديثة أنماطا من أنظمة الحكم، وظروفا اقتصادية واجتماعية وثقافية متقاربة، في حين عرفت أوروبا فترة تحولات اقتصادية والاجتماعية حاسمة في عصر الاستنارة، ثم الثورة الصناعية، فالحركة الاستعمارية للسيطرة على البلدان المتخلفة.

عرفت الأقطار المغاربية مع مطلع العصور الحديثة الخطر الداهم من القوى البحرية الأوروبية التي سيطرت على الثغور البحرية على ساحل الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط. مستغلة الضعف السياسي والعسكري للأقطار المغاربية. وظل الخطر الأجنبي الأوروبي لاسيما الإسباني منه جاثما على المدن الساحلية المغاربية لأكثر من ثلاثة قرون، ولكن مع ظهور القوة العثمانية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط والتي شرعت في تكثيف الجهود لتعبئة الطاقات المحلية من أجل إزاحة الخطر الداهم، فقد تمكنت من درء الزحف الإسباني والقضاء على بعض مواقعه الواحدة تلو الأخرى، وكان آخر تلك المدن المحررة وهران عام 1792م.

الكلمات المفتاحية: الوضع الاجتماعي للأقطار المغاربية، العصور الحديثة، الجزائر.

أهداف البحث:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على الوضع الاجتماعي للأقطار المغاربية خلال العصور الحديثة وتفاعل الساكنة المحلية مع الوافدين الجدد من شتى أقطار المعمورة، ثم إبراز مدى معاناة الساكنة المحلية من الجوائح التي كانت تعرفها المنطقة المتوسطية في ذلك الوقت، فضلا عن الاجتياح الأجنبي كلها عوامل تكالبت ضد الساكنة المحلية.

المقدمة

لقد انبرى أغلب من تصدوا لدراسة التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر خاصة من الباحثين من أبناء المنطقة 1500-1900 إلى التنقيب في ركام التاريخ السياسي والاداري والعسكري، ونظم الحكم، ورصد الانتصارات العسكرية لهذه الدولة أو تلك سواء على أعدائها أو جيرانها معتبرين ذلك من أولى الأولويات، في حين ما يزال التاريخ الاجتماعي الحديث والمعاصر كشقيقيه التاريخ الاقتصادي والثقافي للمنطقة السالفة الذكر سواء تلك التي كانت خاضعة للدولة العثمانية، أو تلك التي لم يصلها النفوذ العثماني لا يزال يحتاج إلى كثير من الاهتمام والدراسة والتحليل.

لعل بقاء النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمنطقة المغاربية بعيدة عن أجندة الباحثين والدارسين يرجع إلى أن تلك الموضوعات تحتاج إلى احصائيات دقيقة وحقائق تاريخية موثوق منها ووثائق تاريخية تساعد الباحث على الغوص في في خبايا الماضي بيد أن كثير منها هو الآن في حكم المجهول أو المفقود وهو ما يحول دون التوصل إلى نتائج علمية رصينة في هذا المضمار.

غير أن هذه العقبات التي يصدفها الباحثون في هذا المجال لم تثني البعض من خوض غمار تلك الدراسات على ما فيها من نقائص في انتظار الحصول على مخطوطات جديدة أو العثور على وثائق هامة تثري تلك الموضوعات.

تميز الوضع الديموغرافي للساكنة المغاربية ابان الفترة الحديثة بعدم الاستقرار، وذلك تبعا للوضع الصحي الذي كانت تشهده البلاد، فضلا عن الجوائح الطبيعية التي كانت تجتاح المنطقة، وكذا الظروف المعيشية التي كانت تمر بها الأقطار المغاربية، والجزائر واحدة من تلك الأقطار لم تكن لتشذ عن الوضع العام التي كانت تعيشه الأقطار المغاربية خلال العصر الحديث ترى ما هو وضع التركيبة السكانية للجزائر حلال العهد العثماني؟ وكيف تفاعلت تلك المجموعات السكانية مع بعضها البعض؟ وكيف تعاملت السلطة الحاكمة آنذاك مع مختلف الشرائح الاجتماعية؟

1. التركيبة السكانية للجزائر خلال الفترة الحديثة

أ - تركيبة سكان الريف:

لقد قسم الكتاب الأوروبيون، ومعهم الباحثون الجزائريون المجتمع خلال العهد العثماني إلى عدّة مجموعات معتمدين في ذلك على عنصر العرق أحيانا، والوظيفة، أو المكانة الاجتماعية أحيانا أخرى، وهذا بسب تداخل المجموعات السكانية بالمدن وتعايشها مع العناصر المحلية.

والظاهر أن معظم الوافدين الجدد قد قدموا من أوروبا والمتمثلين في الأندلسيين، والأتراك العثمانيين [إسطنبول، اليونان، ألبانيا، البوسنة والهرسك]، والأعلاج، والاسرى المسحيين، واليهود، وبناء على ذلك أصبح سكان الأرياف الذين يمثلون الأغلبية الساحقة تتراوح نسبتهم 95 بالمئة. بينما سكان المدن كانت نسبتهم 5 بالمئة

تعددت مفاهيم البادية والريف من مصادر مختلفة، غير أن كلها تصب في قالب واحد، فالريف في المفهوم القرآني هو المصدر الجامع والتجمع السكاني، لقوله تعالى في سورة النحل «**والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل**

لكم من جلود الانعام بيوتا...»[3]، ومعناه الراحة والاستقرار مع الأهل والسكن يعني السكينة أي بعيد عن الأصوات المزعجة، أما في المعاجم العربية فيعرفه ابن منظور على أنه الشُعب الواسعة في المأكل والمشرب وجمعه أرياف، والريف مثل: البادية، البور، القرية[4].

أما ابن خلدون فيقول: "أنه المنتحل للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام، يقتصر الريف على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن، وأهل الريف يتخذون من الشعر والوبر والطين والحجر بيوتا، ومعاشهم على الزراعة والقيام بالفلاحة وعليه **فالبدو:** هم ضد الحضر، والبادية خلاف الحاضرة سواءً في البلاد العربية، أو في غيرها من مناطق العالم، حيث ينقسم سكان البادية إلى قسمين سكان مستقرين في مناطق معينة بها الماء ومصادر رزقهم الأخرى ويقطنون بيوت من القش، أو الطين، ويعيشون على استنبات الأرض ورعي الماشية(أبقار، أغنام، معز دواجن ...). أما القسم الثاني فهم السكان الرحل الذين يتنقلون من مكان لآخر طلباً للماء، والكلاء لأنفسهم ومواشيهم وابلهم ويقطنون الخيم التي يصنعونها من الوبر[5].

ب- سكان الريف بالجزائر:

1- قبائل المخزن:

ويمكن تعريف قبائل المخزن، استنادا إلى المزاري في قوله: "إن المخزن هو الناصر للدولة كيفما كانت وحيثما وجدت وتملكت، وبالنسبة إليه مخزني، مخازني مفرد مخز نية في تحقيق المباني، ويسمى بذلك لأنه يخزن فيه ما يؤلمه إلى وقت الظفر وحصول الانتقام فيفعله بصاحبه وبهزمه، وقد يطلق المخزن مجاز إلى دار الحاكم نفسها ومنه قولهم إني ذاهب إلى دار المخزن[6].

ومن هنا يمكن القول بان قبائل المخزن على أنها: قبائل تابعة للسلطة العثمانية عن طريق التجنيد واستعمالها كقوة ضاربة في الأرياف، حيث كانت وظيفتها الحفاظ على أمن واستقرار البلاد ومقابل هذا تتمتع القبائل المخزنية ببعض الامتيازات كالإعفاء من دفع الضرائب والحق في استغلال بعض أملاك البايليك كالإقطاعات وزرعها لصالحها الخاص والحصول من آغا العرب على أدوات العمل، وأحيانا البهائم والخيول المستعملة في فلاحة الأرض وأهلية الارتقاء إلى منصب قايد أو آغا[7].

---

[3] سورة النحل، الآية 80.

[4] جهيدة بوعزيز، (الصراعات الدّاخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايليك الشرق الجزائري في أواخر العهد العثماني (1815، 1837م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2012/2011م، ص 17.

[5] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن جاورهم من دوبي السلطان الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001، ص 126.

[4] الاغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تق: يحي بوعزيز، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1900م، ص 30.

[7] ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1791-1830م) البصائر، للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 423.

2- قبائل الأعراش:

كانت تتألف من مجموعة قبائل وأعراش مختلفة الأصل فالمكانة والأعراف والتقاليد، وكان لكل هذه القبائل زعيمها وكبير يمثلها وكان يتشكل ثمانية عروش مختلفة وكانت هذه العروش بالغرب الجزائري وباقي العروش الأخرى بمختلف أرجاء البلد[8].

3- قبائل الرعية:

وتُعرف بأنهم أفراد المجتمع الذي يمكن للمجموعات المخزنية استخدامهم وتجنيدهم في كل وقت، فهم تحت تصرف أهل المخزن تؤلف هذه المجموعة غالبية السكان الريف الذين يقومون بخدمة أراضي الدولة كأجراء أو خماسين أو باستغلال الأراضي الخاصة بهم، وهذا نظرا لخضوع جماعات الرعية لموظفي الدولة فهي مطالبة بتقديم أنواع عديدة من الجبايات والمساهمة بخدمات إلزامية **"التويزة"** لمصالح الدولة، وموظفيها وأعيانها، كما أنها ملزمة بتنفيذ تعليمات موظفي الجهاز الإداري المركزي من شيوخ وقادة عشائر، ففي بايليك الشرق الجزائري مثلا قبائل الرعية به تخضع إلى 24 قائدا و11 شيخا[9].

4- قبائل الأجواد:

وهم طبقة الأغنياء والنبلاء الذين فرضوا وجودهم أمام السلطة المركزية العثمانية، ولم يكن أمام العثمانيين إلا الاعتراف بهم وبنفوذهم، فكانت العلاقة بينهم أحيانا ودية وأحيانا أخرى علاقة صراع، أي كانوا سادة قبائلهم في المناطق الريفية مما اضطر السلطة التركية إلى الاعتراف بسلطتهم في الكثير من الأحيان، ولكنها تحاربهم عندما يتعاظم نفوذهم حتى لا يشكل هؤلاء خطر على السلطة، وخلاصة القول إن الأتراك اعترفوا بسلطة هؤلاء حتى يتمكنوا من فرض سيطرتهم على القبائل في الأرياف، ويصبح الأمر خالصا لهم[10].

5- القبائل الممتنعة أو المستقلة:

وهي المقيمة في الجهات النائية، وفي المناطق الجبلية، والأقاليم الصحراوية، وقد سمح موقعها بالعيش شبه مستقلة عن السلطة الحاكمة: كانت هذه القبائل تشكل مجموعات قبلية تعرف بالمشيخات أو الأحلاف تتصرف حسب مصالحها، ومن منطلق موقعها، ومكانتها[11].

من أشهر القبائل قبائل الحضنة، جرجرة، وقد قدر الفرنسيون عددها عام 1830م بـ 320000 من مجموع السكان البالغ 78000 وبسبب عدم خضوعهم للسلطة فإن الحكومة حاولت الحد من استقلالهم:

- تنصيب الحاميات وإقرار عشائر المخزن في الأماكن الملهمة لهم.

- التحكم في الأسواق الأسبوعية والرسمية القريبة منهم[12].

---

[8] نفسه، ص 422.

[9] سلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518 - 1850)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، العدد 15، ص 428.

[10] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر (1800- 1830م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 50.

[11] شويتام ارزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2011، ص 83.

جدول يوضح توزيع نفوذ القبائل[13]:

الجهات/ القبائل	تيطري	وهران	قسنطينة	المجموع
المخزن	14	46	47	126
القبائل الخاضعة	23	56	14	104
الزعامات النصف المستقلة	12	29	25	86
القبائل المستقلة	-	26	138	200

2-التركيبة السكانية بالمدن الجزائرية خلال العهد العثماني:

أ- **المدن الجزائرية خلال العهد العثماني:**

بناء على ما ورد في لسان العرب لابن المنظور أن المدينة مرتبطة إلى حد بعيد بالاستقرار البشري وهي المكان المحاط بحصن لأن المدن كانت منذ فجر التاريخ عبارة عن حصون وقلاع والعالم الإسلامي لا يشذ عن ذلك بما في ذلك الجزائر قبل وأثناء العهد العثماني، وقد عرّفها البعض بانها المكان الذي تقام فيه الحدود وتؤدى صلاة الجمعة، فلذلك هي مرتبطة بمسألة القضاء والعدالة والشعائر الدينية الجماعية، كما نجد المدينة تشتمل على عدد كبير من الأبنية الواقعة ضمّن مخططات تنظيمية أنواعها سواء كانت حكومية أو عامة معينة، و تفصلها عن بعضها البعض شوارع وطرقات ، تحتوي المدينة على المرافق العامة بمختلف[14].

1- الجزائر العاصمة:

لم تكن ذات أهمية كبيرة قبل مجيء العثمانيين فقد تحولت من مرفأ صغير الحجم تلجأ إليه السفن عندما تضطرها العواصف إلى ميناء واسع ترسو به السفن الكبيرة، كما تشحن منه وإليه مختلف السلع، وقد حط به كثي من البحارة والتجار من مدن الضفة الشمالية للمتوسط وفي غضون ذلك تحولت مدينة الجزائر على مدار ثلاثة قرون إلى عاصمة البلاد متنوعة العمران، ومتشعبة الطرقات ومزدحمة الأسواق. وكانت مدينة الجزائر تقع على حواف سهل متيجة الغني والمتنوع الغلال وكانت تمثل همزة وصل بين البايليكات الثلاث، بايليك الغرب، وبايليك الشرق، وبايليك التطري، ومن مدينة الجزائر كانت تنطلق الهجومات على أوروبا[15].

---

[12] نفسه، ص 84.

[13] سلوان رشيد رمضان، نفس المرجع، ص 429.

[14] نصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثماني، (الجزائر، تونس طرابلس) الغرب من القرن 19/16/14/15م، حوليات الآداب والعلوم الإنسانية، حوليات الآداب والعلوم الإنسانية، الحولية 31 قسم التاريخ، جامعة الكويت، 1431هـ/2010م، ص 57.

[15] يذكر جون وولف، أنه لم يحن منتصف القرن السابع عشر حتى أصبح رصيف مدينة الجزائر حصينا مدججا بالمدافع كما كان جدارا منعا تتكسر عليه الأمواج العاتية، ووراء ذلك الجدار تقف أسوار مدينة الجزائر المحصنة بالمدافع فضلا عن القلاع والتحصينات. ينظر: جون، ب، وولف، الجزائر وأروبا، تر تع أبو القاسم سعد الله، ط خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 149.

قد كانت مدينة الجزائر مستقر للعديد من العلماء، وقد وصفها الرحالة بإستانبول الصغرى وذلك لما كانت تعج به من الأسواق وتنوع تجارتها، فضلا عن توع تركيبتها السكانية القادمة من مختلف الأصقاع، غير أن الجوائح التي تعرضت لها مدينة الجزائر أدت إلى هلاك الكثير من ساكنة المدينة بحكم كونها مفتوحة أمام الأوبئة القادمة من عالم البحر المتوسط، وقد تحدث التمغروتي عن التعايش المذهبي فيها حين ذكر أن بها ثلاثة جوامع أحدهما للترك وامامه حنفي[16].

ويذكر أبو القاسم سعد الله أن مدينة الجزائر خلال العهد العثماني كانت مدينة دولية، وأن ساكنتها كانت تنحدر من مختلف الجنسيات، كما كانت مفتوحة للتأثيرات الخارجية، ولذا وجدنها توفر حاجات ساكنيها على اختلاف مشاربهم، ففيها المقاهي، والملاهي، والحانات بل كان فيها البغاء المنظم من طرف الدولة من أجل سد حاجيات الجند الذين كانوا يعيشون في حالة عزوبة، أما الحانات فقد كان يديرها اليهود، ويتردد عليها العرب والاتراك وكذا الأجانب[17].

أما من حيث المباني التي كانت تعج بها مدينة الجزائر فهي دور الاندلسيين، فضلا عن القصور الرسمية، وتشير بعض المصادر أن مدينة الجزائر كانت أكثر أمنا لساكنيها، كما اشتهرت بحرفها وصناعاتها التقليدية فكان هناك 3000 نساج، و1200 نحات أو نجار، و400 خباز، و300 جزار، كما اشتهرت المدينة بمساجدها البالغ عددها 107، وحماماتها المقدرة ب 62 حماما، و9 فنادق، و6 سجون[18].

2- قسنطينة:

تحتل المرتبة الثانية بعد العاصمة من حيث الأهمية خلال العهد العثماني، وقد احتلت قسنطينة هذه المكانة لما كانت وهران في قبضة الاسبان، كما أن تلمسان تراجعت مكانتها بخروج العلماء والعائلات الثرية عند دخول العثمانيين، لعل مكانة قسنطينة خلال العهد العثماني تعود إلى كونها مدينة داخلية بعيدة عن الغارات الاسبانية التي عرفتها المدن الساحلية، فضلا عن قربها من تونس، كما يعتبر بايليك قسنطينة، أكبر البايليكات على الاطلاق، وتشير المصادر المعاصرة إلى سكان مدينة قسنطينة ناهز قبل الاحتلال تسعة وثلاثين ألف[19].

إن التراتبية الاجتماعية التي تتمتع بها مدينة قسنطينة لم تكن لتختلف كثيرا عما كان موجودا في العاصمة فقد طغى عليها العنصر الحضري والذي يعود تواجده بالمدينة إلى عصور غابرة، فضلا عن الاندلسيين، وكذا الفئات الحضرية التي دخلت المدينة قادمة من بجاية وتونس، وغيرها من المدن المجاورة، كما تواجد بالمدينة اليهود علاوة على العثمانيين والكراغلة بالإضافة إلى المجموعات الزنجية القادمة من الصحراء وجنوبها، أما أهل زواوة فقد كانوا يقصدون قسنطينة من أجل العلم والتجارة[20].

وقد كانت التجارة والمال بأيدي بعض العائلات الحضرية وكذا اليهود الذين قدرت بعض المصادر أعدادهم ب خمسة آلاف نسمة كانت عائدات التجارة تدر عليهم ما قيمته واحد مليون دولار حيث كانت مبيعاتهم من القمح والشعير والوبر وريش النعام والشمع والجلود والخيول والأبقار والبغال والخشب تلك هي صادراتهم باتجاه أوروبا، ولعل

---

[16] علي بن محمد التمقروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية، تح/ عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 1983.
[17] نصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثماني، المرجع السابق، ص 73.
[18] مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحالات المغاربة في العهد العثماني، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1981، ص 54.
[19] نصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثماني، نفس المرجع، ص 76.
[20] *René, Oran, Études de géographie et d'histoire urbain, Librairie Félix Alcan, Paris, 1938, p 36.*

من أشهر العائلات الغنية بقسنطينة خلال العهد العثماني نجد عائلة الفكون، وابن باديس، وابن نعمون. وقد اكتسبت المدينة شهرة حيث أصبحت تنافس مدينة فاس، وقد اشتهرت بكثرة حماماتها وأسواقها، ولعل دنوش بايليك قسنطينة أغنى دنوش الجزائر[21].

3- تلمسان:

فقدت الكثير من سمعتها ومكانتها خلال العهد العثماني، فقد أدى الاجتياح الاسباني لوهران والمراسي المجاورة، أدى إلى الخناق الاقتصادي على المدينة ثم إن سيطرة الاتراك على الجزائر أدى إلى تراجع المكانة السياسية والعسكرية للمدينة إذ فقد بنو زيان مجدهم، وخرج علماء تلمسان صوب المشرق والمغرب، وبذلك تكون تلمسان قد خسرت الكثير من العائلات المقيمة بها ذات النفوذ العلمي والاقتصادي، ومن بين أشهر العائلات التي خرجت من تلمسان عائلة الونشريسي، وعائلة المقري. ولم تستعيد تلمسان عافيتها ومكانتها السياسية والاقتصادية والعلمية طيلة العهد العثماني فقد ظهرت حواضر أخرى تصدرت المشهد نذكر من ذلك مازونة وأم عسكر ومستغانم وأخيرا وهران[22].

4- عنابة:

شهدت عنابة خلال العهد العثماني ازدهارا عمرانيا، فقد كانت تمثل المرسى الأساسي لبايليك قسنطينة، وقد شهدت تنافسا محموما بين الشركات الجنوية والفرنسية التي كانت تسعى للسيطرة على مراكز المرجان، وأشار الحسن الوزان إلى تعداد سكان عنابة المقدر ب 21000 نسمة، فحين ذكر قنصل أمريكا في تونس بأن اعداد الساكنة في عنابة سنة 1813 قُدر 20000 نسمة[23].

كانت الحياة العلمية والدينية في مدينة عنابة نشيطة جدا ومن بين أشهر عائلاتها العلمية أسرة ساسي البوني والعنابي، كما أن مسجد أبي مروان كان من أبرز مؤسساتها الدينية، وكانت المدينة تضم شرائح اجتماعية مختلفة لعل أغلبهم العناصر الاجنبية وذلك بحكم مينائها التجاري فكانت المدينة تضم الجنويين، والايطاليين، والمالطين والفرنسيين والانجليز وقد كان تواصل تلك الفئات مع بقية شرائح المجتمع العنابي عن طريق العمل والتجارة[24].

5- بجاية:

بالرغم من الشهرة التي كانت تتمتع بها بجاية خلال العصر الوسيط فإنها خلال العهد العثماني قد فقدت تلك المكانة بسبب الغزو الاسباني، ومع ذلك فقد نزل بها المهاجرون الأندلسيون شأنها في شأن معظم المدن الساحلية المغاربية خلال العصر الحديث، وذكر بيري رايس عدد سكان بجاية بنحو مائة وستة وعشرون ألف نسمة وذلك خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، أما ليون الافريقي فقدر عدد سكانها ب ستة وخمسين ألف نسمة، وقد لا حظ التمغروطي صاحب النفحة المسكية أن بجاية أواخر القرن العاشر الهجري باتت قليلة الاهمية نظر للتخريب الذي طالها وشاهد قلة مساكنها، ومع مطلع القرن التاسع عشر باتت بجاية مدينة صغيرة تتوفر على بعض الصناعات، ومن

---

[21] سلوان رشيد رمضان، المرجع السابق، ص 436.

[22] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر (1800- 1830م)، المرجع السابق، ص 59.

[23] *Rozet, Algérie, L'univers ou l'histoire et description de tous les peuples de leurs religions. mœurs. coutumes, 2 éd. Bouslama, Tunis 1980, p16.*

[24] بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخازنها الاسود، ج1، تحق: يحي بوعزيز، ط خ، دار البصائر حسين داي الجزائر، 2009م، ص 271.

بين المدن التي كثر ذكرها خلال هذا العهد من طرف الرحالة والقناصل الاجانب والأطباء وذلك راجع لأهميتها الاقتصادية، أو العلمية والدينية فقد اشتهرت خلال العهد العثماني مدينة أم عسكر ومازونة ومستغانم وند رومة ووهران وقد سكنها الاندلسيون[25].

ب- **عواصم بايليك الغرب واستراتيجية التحول من الداخل نحو الساحل:**

في الوقت الذي بقيت فيه عاصمة البايليك الشرقي قسنطينة وعاصمة بايليك التيطري المدية على حالهما منذ التقسيم الذي أقره العثمانيون غداة حلولهم بالجزائر، نجد أن عاصمة بايليك الغرب ظلت تتحول من مكان لأخر على مدار أكثر من ثلاثة قرون وهي الفترة الحكم العثماني في الجزائر، وهذا تبعا للتهديدات الاسبانية التي كانت تخيم على الساحل المتوسطي الجزائري، إذ في غضون منتصف القرن السادس عشر اقتضت الظروف من حكام بني عثمان في الجزائر أن يتخذوا مازونة عاصمة للبايليك الغربي لكونها تقع في أحضان جبال الظهرة وهو موقع محصن نسبيا خلال سنة 1098هـ الموافق لـ 1686م تولى مصطفى بوشلاغم حكم بايليك الغرب وكان من بين أهم أعماله نقل مقر عاصمة البايليك من مازونة إلى أم عسكر سنة 1205هـ/1791م[26]، ولا نعرف ما هي الدوافع الحقيقية الكامنة وراء هذا التغيير في مقر العاصمة من مازونة إلى أم عسكر، هل ذلك يعود إلى العامل الأمني بحيث صار بايليك الغرب أكثر أمناً من ذي قبل من التهديدات الاسبانية[27] والاطماع المغربية وعليه تم نقل عاصمته من مرتفعات الظهرة الوعرة إلى سهول أم عسكر الفسيحة؟ أم أن الأقلية التركية والطائفة الاندلسية والعناصر الكرغلية قد ضاقت ذرعا بالمكان وكنت ترغب في الاقتراب من السواحل حيث تتواجد معظم المجموعة الحضرية؟ أم ذلك يرجع إلى رغبة حكام الجزائر العثمانية إلى تقريب مقر عاصمة البايليك من الثغور ومناطق التماس التي هي في قبضة المحتل الإسباني لتقديم الدعم المادي والمعنوي خلال فترات المواجهة[28].

إن مقر العاصمة الجديد الذي وقع الاختيار عليه لا يبعد عن مدينة وهران المحتلة أنذاك سوى 92 كلم والتي تقع إلى الجنوب الشرقي منها، كما أنها تُعد إحدى المدن الهامة بالناحية الغربية للجزائر من حيث العمران البشري، قد ساعدها موقعها الاستراتيجي ضمن سلسلة جبال بني شقران لكي تغدو مقرا للحامية الرومانية كما ظلت لفترة طويلة ضمن خطوط الدفاع المتقدمة والمعروفة "بالليمس" الروماني وكانت تعرف حينها بـ " كاسترا نوفا" أي القلعة الجديدة. وفي غضون القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي حين استلام الموحدون زمام الحكم ببلاد المغرب الاسلامي جعلوا منها قلعة عسكرية، ثم أصبحت عاصمة للبايليك الغربي في العصر الحديث وذلك في عهد الباي مصطفى بوشلاغم وذلك سنة 1701م[29].

قامت بعض المصادر الأجنبية بإحصاء عدد السكان في بايلك الغرب أواخر العهد العثماني، فمدينة وهران أصبحت عاصمة البايلك بعد تحريرها من الإسبان كان بها حوالي 9000 ساكن[30] وتلمسان كان سكانها حوالي 10000

---

[25] نصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثماني، المرجع السابق، ص 77.
[26] بن عودة المزاري، نفس المرجع، ص 275.
[27] ج، أو، هابنسترايت، رحلة العالم الالماني إلى الجزائر، وتونس، وطرابلس 1145 هـ/ 1732 م، تح، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، تونس،2008، ص 16.
[28] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من (20/16م)، ج1، المرجع السابق، ص 149.
[29] نفسه.
[30] *René, op-cit, p 38.*

ساكن أما روزي *Rozet* قدر عدد سكان وهران قبل الاحتلال من 5 إلى 6 ألاف[31] عمل جوشرو *Juchereau* مقارنة لعدد سكان بايلك الغرب في بداية القرن 18 وفي عام 1830حسب المنحنى البياني[32] .

3. تركيبة سكان المدن: الأتراك والكراغلة:

أ- الأتراك:

كانت فئة الأتراك تحتل قمة الهرم الاجتماعي، إذ بيدهم سلطة البلاد مثل البايات والباشوات والأغوات وأعضاء الديوان، يتشكل أغلبها من الجنود الإنكشارية الذين كانوا يقيمون في الحصون والثكنات بمدينة الجزائر[33].

كان عدد منازل الأتراك العثمانيين حسب ما قدره هايدو في القرن الـ 16م بنحو 1600 بيت إضافة إلى الأعلاج وهم عثمانيون المهنة، ومسيحيون بالدم والأصل، ويشكلون أغلب طبقة الرياس مثل علج علي وحسن بن آغا وهم قوة فعالة في الجهاد البحري، بلغ عددهم عام 1649م ثمانية آلاف من الذكور وألف ومائتين من الإناث، ورغم أنهم من أصول وأجناس مختلفة اللسان إلا أنهم اتفقوا في الولاء للإسلام والسلطان العثماني[34].

كان نشاطهم عاملا من عوامل ازدهار الحياة الاجتماعية في المدينة بنشرهم بعض العادات والتقاليد خاصة المأكولات واللباس إضافة إلى الفن المعماري، كما ساعدوا على إدخال المذهب الحنفي، والطرق الصوفية وربط المجتمع الجزائري بالمجتمع الشرقي[35].

كان الأتراك يشكلون طائفة مختلفة منعزلة عن المجتمع الجزائري متمسكة بلغتها التركية ومذهبها الحنفي، تخضع لنظام قضائي خاص بها، ولها امتيازات في مختلف جهات الجزائر قسنطينة بسكرة وبالوسط المدية والجزائر وبالغرب مازونة ووهران[36].

ب-الكراغلة*:

احتلت هذه الفئة المرتبة الثانية، وهي نتيجة التزاوج من طرف الجند الإنكشارية ورياس البحر بالنساء الجزائريات[37]. وتولوا العديد من الوظائف الإدارية والرتب العسكرية، لا يمكن للأهالي توليها، كانت هذه الفئة تطمح بالميلاد واللغة والانتماء العالي للارتقاء إلى المرتبة الأولى في المجتمع، لكن الحكام العثمانيين منعوهم من ذلك واعتبروهم أبناء العبيد لأن وجودهم في مناصب الدولة والجيش يشكل خطرا على مصالحهم بحكم الانتماء إلى أهالي الجزائر، أما عن أفراد هذه العائلة فكان يتزايد باستمرار[38].

---

[31] *Rozet, op-cit, 20.*
[32] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 115.
[33] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من (20/16م)، ج1، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 153.
[34] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م)، دار هومة للنشر والتوزيع، (د.ت)، ص 546.
[35] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 149.
[36] أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (1519-1830م)، دار الكتب العربية، الجزائر، 2009، ص 60.
*ا لكراغلة: نجد لفظ "قول"أو "kul" تعني حرفيا "العبد"، وقد أطلق على ست كتائب من عساكر الخيالة في الدولة العثمانية. ينظر: سهيل صبان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، المرجع السابق، ص 14.
[37] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 155.
[38] ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 227.

ظهرت هذه الفئة لأول مرة في المدن التي كانت تتواجد بها الحاميات التركية خاصة بمدينة الجزائر، وقسنطينة، المدية، معسكر، القليعة، مستغانم، قلعة بني راشد، مازونة، مليانة، تلمسان، عنابة، وبسكرة[39].

كان الكراغلة في بايليك الغرب يتوزعون على خمسمائة جندي في تلمسان ونفس العدد في مستغانم ومازونة، أما بقلعة بني راشد نجد ثمانين عائلة، أما بايليك التيطري في وسط البلاد كان عددهم ضئيلا، وهناك عدد من الكراغلة يقيمون في الحاميات العسكرية ببايليك الشرق مثل عنابة وتبسة وزمورة، فلهذا كانت أكبر الحاميات في البايليك هي حامية ميلة[40].

3- فئة الحضر:

تعتبر فئة الحضر من أهم الفئات المتواجدة في الايالة الجزائرية وخاصة مدينة الجزائر يتراوح عددها من 30 إلى 40 ألف شخص، عملت هذه الطبقة في العديد من المجالات واهتمت بتنمية ثروتها واستغلال أملاكها ومزارعهم بقرب المدينة ، وهذا ما جعلهم يألفون برجوازية، لكن رغم دورها الاجتماعي والاقتصادي إلا أنها محرومة من العمل السياسي والإداري وهذا لتحكم العثمانيون واحتكارهم للسلطة، حيث لم تطمع في المناصب السياسية بل اكتفت بالمناصب العلمية والدينية، غير أن رجال السلطة تقربوا منهم خشية من اسمهم، وذلك نظرا لقوة تأثيرهم على الأهالي، حيث كان دور العلماء في مختلف المستويات[41].

4- الأندلسيون:

شكّل المهاجرون الأندلسيون جماعة خاصة من الحضر، وقد حل عدد منهم بالبلاد الجزائرية فارين من الاضطهاد الإسباني بعد سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين الأندلس سنة 1492م، انتشرت موجة الهجرة بعد ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية، وتزايد عددهم بشكل كبير، حيث قدّرهم هايدو بـ 1000 إداري حوالي 5000 فرد، وتضاعف هذا العدد بعد صدور قرار الطرد الجماعي سنة 1609-1610 في عهد الملك فليب الثالث[42].

لقد كان أعضاء الجالية الأندلسية أكثر ثقافة وتطورا ونشاطا عن باقي السكان الآخرين بفضل البيئة التي كانوا يعيشونها بالأندلس، كما تميزوا برقة الذوق والمأكل والملبس والمتاع، وبلهجتهم العربية التي كانت شائعة بغرناطة وحواضر الأندلس[43].

5- الأشراف:

تتميز عن باقي الحضر بانتسابها إلى آل البيت حسب التقاليد المتعارف عليها، فقد اشتهر أغلب أفرادها بالورع والتقوى، وهذا ما أكسبهم احتراما وتقديرا لدى السكان والحكّام، فخصهم بعض الدايات بالهدايا والمساعدات مثل الداي محمد بقطاش الذي أوقف لصالحهم بعض الأملاك[44].

---

[39] أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري، المرجع السابق، ص 89.
[40] صالح عباد جلال، الحكم التركي بالجزائر (1514-1830م)، دار هومة للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر،2007، ص 357.
[41] أرزقي شويتام، نفس المرجع، ص 90.
[42] ناصر الدين سعيدوني، نفس المرجع، ص 228.
[43] بن عودة المزاري، المرجع السابق، ص 285.
[44] ج ،أو، هابنسترايت ، المرجع السابق، ص 25.

ج- فئة البرانية:

أو ما يصطلح عليهم بالوافدون أي العناصر الوافدة إليها من مختلف الأقاليم المجاورة إليها بغرض البحث عن العمل لكسب لقمة العيش، وقد اختصت كل جماعة بأعمال معينة، ومن أهم الفئات الوافدة على المدن للإقامة نذكر:

1. جماعة بني ميزاب:

ينتسب إلى السكان المنحدرون من غرداية وبني يزقن وبريان بالإضافة إلى سكان بني ميزاب ومناطق الشعابنة ورقلة، وهم من أتباع المذهب الإباضي، كما أن جماعة بني ميزاب جماعة حافظين لكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك فإن جميع المسلمين كانوا يتهمونهم بالزندقة لذلك لهم جوامع ومساجد خاصة بهم ولا يجوز لهم أبدا الاجتماع في مكان يجتمع فيه المسلمون[45].

2. جماعة البساكرة:

تتكون من أهالي مناطق الزبيان ووادي ريغ وسوف وتوغرت الذين قدموا إلى المدن الكبرى طلبا للعيش، وأوكل لهم بعض المهن المتواضعة والأعمال الشاقة كإحضار المياه إلى المنازل وتنظيف القنوات والمجاري من الأوساخ والقيام بالحراسة في الليل وحمل السلع والبضائع كالفحم والحطب[46].

3. الجماعة الجيجلية:

اعتاد أهالي جيجل ونواحيها الهجرة إلى مدينة الجزائر وذلك للعلاقة الخاصة التي كانت تربطهم مع الأتراك منذ استقرار الأخوين بربوس ومن معهم من الأتراك بجيجل، وتدعّمت مكانتهم لدى الدايات مما مكّنهم من الحصول على ثروات امتلاك المخابز والمطاعم[47].

4. جماعة الأغواطيين:

ينتسبون إلى مدينة الأغواط وإلى قبيلتي الزناجية وأولاد نايل وأغلبهم يتولى أعمال متواضعة مثل: أعمال الفرن والكيل بأسواق الجزائر وبيع الزيت، ويشتغل عدد منهم بالتنظيف والبضائع وغيرها[48].

5. جماعة القبائل:

أطلقت تسمية القبائل على كل الذين وفدوا من المناطق الجبلية كالبليدة والمدية وتلمسان وبجاية وعنابة وبلاد القبائل، وكان معظم أفراد هذه الجماعة من العصر الزواوي أي من قبائل إمارة كوكو بجرجرة[49].

د. الفئات الأجنبية:

كانت تعيش بالجزائر العديد من الجاليات اليهودية والأسرى وكان لهم دورا كبيرا في ازدهار الحياة الاجتماعية والاقتصادية للجزائر، ومن خلالها سنحاول ذكر البعض منها:

---

[45] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 96.
[46] نفسه.
[47] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 162.
[48] سلوان رشيد رمضان، المرجع السبق، ص 431.
[49] *Rozet, Op-cit, p 39.*

1. جماعة اليهود:

قسّمت الدراسات الحالية اليهودية في الجزائر إلى عدّة مجموعات يمثلها الذين جاؤوا من إفريقيا بعد المشاكل والصعوبات التي تلقونها في المشرق فاستقروا بشمال إفريقيا بشكل دائم ومارسوا كغيرهم من السكان[50].

تكونت فئة اليهود بالجزائر من ثلاث مجموعات: المستقرة بالبلاد منذ القدم أو من أتى من إسبانيا أو الطائفة اليهودية ذات الاصل الأندلسي، حيث أقام اليهود في أهم المدن والمراكز التجارية مثل عنابة وجيجل وشرشال والجزائر وقوراية وغيرها، وذلك بطبيعتهم الميالة إلى التجارة أكثر من اي نشاط آخر[51].

منح اليهود الذين اعتنقوا الإسلام خلال الفترة العثمانية لنوع من العرف عرف باسم الذمة، يجدد باستمرار والذي يمنح بموجبه الجالية المسلمة المأوى والحماية لأعضاء الديانات السماوية الأخرى[52].

2. الأسرى المسيحيون:

أغلبهم من الإسبان والبرتغال والألمان، عددهم قليل بمدينة الجزائر وهم عادة ما يحظون باحترام الأتراك ويكونون في حماية إحدى الدول الأوروبية التي تكون في حالة سلم مع الداي[53].

3. جماعة الزنوج:

أصلهم من الأقطار السودانية يستخدمونهم في الدور، وكانوا يحملون على الحمير البضائع والأثاث ومواد البناء كالرمل والحجر والجير والخشب، وقد كان تجار الإفرنج يسكنون بالجزائر وكانت لهم دكاكين للبيع والشراء[54].

4. جماعة المغاربة:

جاءت جماعة المغاربة من المغرب الأقصى، وكانت أصولهم بربرية أمازيغية من درعة اشتغلوا بنفس الأعمال التي كان بربر الجزائر يزاولونها إلى أنّ هجرتهم الموسمية كانت دائمة، كما كانوا متواجدين بكثرة بمدينة وهران، حيث كانت هناك علاقات ثقافية وعليمة بين المغرب ووهران، وهناك بعض المغاربة من أتى من أجل الدراسة[55].

الخاتمة:

تميز الوضع الاجتماعي خلال العهد العثماني بالجزائر بقلة سكان المدن والحواضر بالنسبة لسكان البوادي إذ ان سكان المدن لم يكن يجاوز حسب الاحصائيات نسبة 5% في حين ظلت نسبة سكان الأرياف تمثل الغالبية الساحقة بـ 95%، كما نسجل ن سكان البوادي قد ظلوا بعدين عن تأثير السلطة وكانت العلاقة قائمة أساسا على الجباية كما ظلت

[50] جون، ب، وولف، المرجع السابق، ص 163.
[51] *René, Op-cit, p 40.*

[52] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 159.
[53] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 105.
[54] أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ج1، ص 171.
[55] مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 49.

العناصر التركية مستفيدة من الوضع المالي للجزائر والامتيازات التي جنتها من بقائها في سدة الحكم طوال ثلاثة قرون ونيف.

المراجع:

القرآن الكريم سورة النحل، الآية 80.

ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن جاورهم من دوبي السلطان الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001.

الأغا المزاري بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخازنها الاسود، ج1، تح/ يحيى بوعزيز، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009م.

بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحالات المغاربة في العهد العثماني، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1981.

بوعزيز جهيدة، الصراعات الدّاخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايليك الشرق الجزائري في أواخر العهد العثماني (1815- 1837م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة (الجزائر)، 2012/2011م.

التمقروتي علي بن محمد، النفحة المسكية في السفارة التركية، تح/ عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 1983.

ج، أو، هابنسترايت، رحلة العالم الالماني إلى الجزائر، وتونس، وطرابلس 1145 هـ/ 1732 م، تر تق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2006.

سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي من (20/16م)، ج1، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

سعيدوني ناصر الدين، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1791-1830م) البصائر، للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر (1800- 1830م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

سعيدوني نصر الدين، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثماني، (الجزائر، تونس طرابلس) الغرب من القرن 19/16/14/15م، حوليات الآداب والعلوم الإنسانية، حوليات الآداب والعلوم الإنسانية، الحولية 31، قسم التاريخ، جامعة الكويت، 1431هـ/2010م.

سلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518 - 1850)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، العدد 15.

شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (1519-1830م)، دار الكتب العربية، الجزائر، 2009.

شويتام أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، بيروت، 2011.

صبان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، المجلد1، تح، عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 2000.

عباد صالح، الحكم التركي بالجزائر (1514-1830م)، دار هومة للطبع والنشر والتوزيع، 2007.

وولف جون، ب، الجزائر وأروبا، تر تع أبو القاسم سعد الله، ط خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

René, Oran étude de géographie et d'histoire urbain, Librairie Félix Alcan, Paris, 1938.

Rozet. Algérie l'univers ou l'histoire et description de tous les peuples de leurs religions. Mœurs et coutumes, 2éd, Bouslama, Tunis,1980.